السير نحو القمم على بصيرة

المكان: طهران

المناسبة: 13آبان يوم مقارعة الاستكبار

الحضور: آلاف التلاميذ وطلاب الجامعات وعوائل الشهداء

الزمان: 1389/8/12هـ.ش. 1431/11/26هـق 2010/11/03م.

4321

مناسبة الثالث عشر من آبان هي لخيرة شباب بلادنا قبل غيرهم، أي للطلبة الجامعيين وطلاب المدارس. وهذا الاجتماع الذي هو نموذج للتجمع العظيم لشباب البلاد من كافة أنحاء هذا الوطن الإلهي هو اجتماع زاخر بالمعرفة والبصيرة والحماس والشوق لمطامح الثورة الكبرى وأهدافها. وهي بالنسبة لي أيضاً من أطيب الفرص أن ألتقي بكم أيها الشباب الأعزاء ويا أبنائي الأحبة وأطرح هنا بعض الكلمات التي يجب أن تطرح بيننا.

المناسبات التاريخية لها في الغالب حكم الرمز والعلامة. يوم الثالث عشر من آبان لا يختلف بحد ذاته عن الأيام التي سبقته والأيام التي تليه، لكنه رمز. ما معنى الرمز؟ الرمز هو ما يحمل وراءه وفي داخله معان كثيرة. يتلفظ الإنسان بكلمة وتكون لها معان وحقائق عديدة كامنة فيها. والثالث عشر من آبان من هذا القبيل. هذا اليوم رمز، وله خلفية وامتداد واسع من الأفكار المهمة، والقضايا الخطيرة، والمسائل التي لا تعدّ تاريخية بحال من الأحوال إنما تعدّ

مسائلنا اليوم أيضاً.. لنلق نظرة على مناسبات هذا اليوم.

المناسبة الأولى في هذا اليوم هي أنهم نفوا إمامنا الجليل في مثل هذا اليوم من سنة 1343 (1964م). لماذا نفوه؟ لأنه ألقى قبل أيام من ذلك التاريخ كلمة حماسية في قم انتشرت فوراً في كل أنحاء البلاد عن طريق أشرطة الكاسيت والكتابة، وقد طالب فيها بحق من الحقوق الوطنية. وكان هذا الحق الوطني الذي طالب به هو إلغاء قانون الحصانة القضائية الظالم. من المناسب أن يطلع جيل الشباب على هذه الأمور بوضوح، ويعلم أية منعطفات مررنا بها إلى أن وصلنا إلى هنا.

كان للأمريكان عشرات الآلاف من الموظفين في إيران ـ وليس عددهم الدقيق بالأمر المهم، خمسون ألفاً أو ستون ألفاً أو أكثر ـ كان هؤلاء الموظفين سياسيين وأمنيين وعسكريين في داخل المنظومة الإدارية لإيران سواء في الجيش أو المنظمات الاستخبارية أو قطاعات التخطيط والبرمجة أو القطاعات الأخرى، كانوا هناك يتقاضون أجوراً مضاعفة من الحكومة الإيرانية، لكنهم يعملون لأمريكا. كانت هذه حالة سيئة موجودة في بلادنا. النظام الطاغوتي البهلوي بسبب تبعيته لأمريكا وعمالته لها جاء بهؤلاء تدريجياً إلى داخل البلاد وعلى مدى عدة سنوات. كان الأمر سيئاً إلى هنا. لكن ما حصل كان سوءاً مضاعفاً أضعافاً. والسوء المضاعف هو أنهم صادقوا في مجلس الشورى الوطني ومجلس الأعيان في ذلك الحين على قانون يقضي بإعفاء الموظفين الأمريكان من محاكم إيران وسلطتها القضائية والأمنية. بمعنى لو افترضنا أن

أحد هؤلاء الموظفين ارتكب جريمة كبرى في إيران فلن يكون من حق محاكمنا أن تستدعيه وتحاكمه وتدينه. كان اسم هذا القانون الكابيتولاسيون (الحصانة القضائية). كان هذا منتهى ضعف الشعب وتبعيته للأجانب أن يأتي الأجانب إلى بلده ويفعلوا كل ما يشاءون، ولا يكون من حق محاكم البلاد وشرطتها أن يمسوهم بأي شيء. طلب الأمريكان هذا الشيء من النظام الطاغوتي وقدمه لهم النظام الطاغوتي على طبق من ذهب: قانون الحصانة القضائية.

هم طبعاً كانوا يفعلون أفعالهم هذه بدون ضجيج، ولا يسمحون بانعكاسها في الصحافة، لكن الإمام اطلع على الأمر. هتف الإمام في خطابه قبل الثالث عشر من آبان في اجتماع طلبة العلوم الدينية والناس في قم معترضاً على هذا القانون. وكان تعبيره أنه لو أهان موظف أمريكي بسيط في هذا البلد مرجع تقليد، أو دهسه بسيارته، أو ارتكب أية جريمة، فإن قوانين إيران ستكون عاطلة تماماً إزاء هذا الموظف، وليس من حق أي شخص التعرض له بشيء، فالأمريكان أنفسهم يعرفون ماذا يجب أن يفعلوا له. وواضح ما الذي سيفعلوه. هتف الإمام مقابل هذا القانون الظالم وكان قد خرج من السجن لتوّه. كان قد خرج قبل أشهر من سجنه الذي طال عدة أشهر. وقف الإمام وأسمع الجميع هتاف الشعب الإيراني المكبوت. وبالطبع فإن الكثير من أبناء الشعب الإيراني لم يكونوا على علم بالموضوع وبأن الشعب الإيراني يهان بهذه الطريقة، لكن الإمام كان على اطلاع.. وهكذا هو الراصد الحقيقي لمصالح البلد، حينما يطلع ما البلاء الذي ينزل بالشعب وكيف يهينونه ويسحقون شرفه فسوف لن يسكت

بل يهتف بأعلى صوته. وكان مثل هذا الهتاف خطراً في ذلك الحين، لذلك ألقوا القبض على الإمام فوراً، وجاءوا به إلى طهران. ولم يبقوه في إيران بل نفوه إلى تركيا. هذا هو الحدث الأول.

إذن، أصبح الثالث عشر من آبان هنا رمزاً لحقيقتين كبريين وحساستين وخطيرتين: الأولى طمع الأمريكان. فلو لم يدافع الشعب عن حقه وشرفه فإن الاستبداد والاستكبار سوف يتمادى إلى حد فرض قانون ظالم مثل الحصانة القضائية على هذا الشعب. هذا هو هدف الهيمنة الاستكبارية. ليست علاقة حكومة مثل الحكومة الأمريكية مع بلد لا يمتلك قوتها وقدرتها بالعلاقة العادية بين بلدين، لا، من وجهة نظر الأمريكان أنفسهم فإن علاقة أمريكا بالبلدان التي يسمونها العالم الثالث علاقة أسياد ورعية، هم الأسياد وهؤلاء الرعية. وهم يملكون كل الصلاحيات في هذا البلد، ينهبون نفطه وغازه ومصالحه وأمواله، ويؤمّنون مصالح أمريكا هنا، ويهينون الشعب هنا ويذلونه.

لو صفع عريف أمريكي قائداً كبيراً في الجيش الإيراني لما استطاع أحد الردّ عليه! في هذه المعسكرات المتعددة في البلاد حينما كان العسكري الأمريكي البسيط يواجه ضابطاً إيرانياً كبيراً كان يتحدث معه كما يتحدث السيد مع رعيته! كان رجال الجيش ممتعضين لكنهم لا يجرؤون على فعل شيء. هذه هي المسألة الأولى، وهي أن الثالث عشر من آبان رمز الاستكبار الأمريكي ورمز لروح الاعتداء والتطاول الاستكباري على الشعوب ومنها الشعب الإيراني.

كثيراً ما حاول الرؤساء الأمريكان بعد انتصار الثورة وتملقوا كثيراً وأطلقوا

الكثير من الكلام المعسول عسى أن يستطيعوا إعادة فتح هذا الطريق المسدود. كانوا يطلقون بعض الكلام في الظاهر، لكن باطن القضية هي تلك القبضة الحديدية التي قلت أنهم يخفونها وراء قفاز من المخمل.

إذن، الثالث عشر من آبان يذكر بحقيقة مرة ومهمة جداً هي روح الاستكبار لدى القوى الاستكبارية الطامعة في الهيمنة. شعوب البلدان المختلفة ومنها شعبنا يجب أن لا تنسى هذه الحقيقة أبداً ولتعلم أن الوجه الذي يحمله أولئك هو وجه المعتدي المتطاول الجشع الذي يطمع في المزيد والمزيد إلى درجة سحق شرف الشعب والاعتداء على أعراضه وأرواحه وأمواله من دون أن يستطيع أحد محاسبتهم وطلب الإيضاح منهم.

المسألة الثانية التي يرمز لها الثالث عشر من آبان هي الهتاف القوي لإمامنا الجليل. كان ذلك الهتاف والنداء أسلم وأهم النداءات، وقد خرج من أطهر الأفواه. الكثيرون قد يتحدثون ويعترضون هنا وهناك، لكن اللسان الذي نشر هتاف الثالث عشر من آبان سنة 43 في العالم كان أطهر الألسنة. أولاً كان هذا النداء منبعثاً من الحسّ الديني، وثانياً كان منبعثاً من الحميّة والغيرة الإسلامية والوطنية الطاهرة والتي لم يكن بوسعها إطاقة هيمنة العدو على هذا الشعب، وثالثاً كان نداء يعتمد على الدعم الجماهيري العام. وسبق أن ذكرت: مع أن الناس لم يكونوا مطلعين على الأمر في البداية، ولكن حين ارتفع نداء الإمام دعمته الجماهير وحمته. وهذا الدعم هو الذي أفضى بعد أربعة عشر عاماً إلى انتصار الثورة الإسلامية. كان ذلك الهتاف الطاهر كالنداءات البليغة القوية التي

أطلقها الأنبياء بين الناس فاجتذبت إليها الناس وقلوبهم. قام الإمام بمثل هذه الحركة الهائلة في البلاد وقد صبر على التكاليف حيث فصلوه عن بيته وحياته وعائلته وأصدقائه وأقربائه ونفوه إلى ركن معزول من العالم. إذن، المسألة الثانية هي أن الثالث عشر من آبان رمز لمثل هذا النداء.

المسألة المهمة جداً الأخرى التي تقف وراء هذا الرمز هي حادثة الطلاب في سنة 57. بعد مضي أربعة عشر عاماً على تلك الحادثة نزل الشباب والناشئة وطلاب الثانويات كأطهر وأنقى الشرائح إلى الساحة وقتلوا. يوم الثالث عشر من آبان يوم مذبحة الطلاب في شوارع طهران. حينما نزل هؤلاء الناشئة والشباب إلى الساحة، ورددوا نداء الإمام قبل أربعة عشر عاماً انتقم منهم الجلادون مرتزقة أمريكا، وفتحوا النار عليهم، وأريقت دماؤهم على أسفلت الشوارع في طهران فخضبتها. هذه أيضاً قضية مهمة لا لمجرد أن عدداً من الشباب والناشئة قد استشهدوا ـ وهذا أمر مهم طبعاً ـ بل لنقطة أهم هي أن الحركة العظيمة التي بدأها الإمام سنة 42 و 43 كانت من الحيوية والفاعلية والتوثب إلى درجة أن الشباب الطاهر وطلاب المدارس ينزلون للساحة من أجلها ويشعرون بالمسؤولية والالتزام ويقفون بوجه حراب الأجهزة الطاغوتية المتجبرة. هذا شيء نادر في العالم.

وكذا الحال اليوم أيضاً. اليوم أيضاً يقف طلاب الثانويات إلى جانب طلبة الجامعات وسائر شرائح الشعب إلى جانب التعبويين وسواهم في الخط الأمامي للفئات والشرائح الاجتماعية. خلال فترة الدفاع المقدس كان طلاب المدارس

من الرواد والسباقين في الخطوط الأمامية. لو اتصلتم بعوائل الشهداء ـ وأنا على اتصال بالكثير منهم وألتقيهم ـ وسألتموهم كم كان عمر ابنكم لقالوا ستة عشر سنة و سبعة عشر سنة وأربعة عشر سنة. ما معنى هذا؟ معناه أن الشعور بالالتزام والروح الثورية والشعور بالمسؤولية الناجم عن البصيرة وصل إلى درجة أن الشاب الطالب من هذا الشعب ينزل إلى وسط الساحة ويفتح صدره للأهوال ويتخلى عن كل طموحات الشباب من أجل أن يحقق المبادئ الكبرى والأهداف الإلهية والإسلامية في المجتمع. هذا أيضاً حدث كبير آخر وقع في سنة 57 ويمثل مفهوماً عظيماً جداً يقف وراء كلمة الثالث عشر من آبان. الثالث عشر من آبان رمز لهذه الأمور.

المسألة الأخيرة التي وقعت في الثالث عشر من آبان هي احتلال وكر التجسس. في سنة 58، وبمناسبة ذكرى نفي الإمام واستشهاد طلاب المدارس نزل الشباب مرة أخرى وفعلوا ما أذهل العالم وفرض الركوع على أمريكا. هذا هو واقع القضية. هذه ليست شعارات. اعلموا أنه يوم احتل وكر التجسس كانت سمعة الحكومة الأمريكية واعتبارها وهيمنتها أضعاف ما هي عليه الآن. لا تنظروا إلى أمريكا حالياً حيث سقطت من العيون والأنظار وصغرت وراحت الشعوب تسبها وتلعنها علانية. لم يكن الوضع هكذا في تلك الآونة، كان لأمريكا يومذاك هيمنة كبرى من الدرجة الأولى. وجاء طلابنا الجامعيون بشجاعة وشهامة وباعتبارهم الخط الأمامي لجبهة مقاومة الشعب الإيراني واحتلوا سفارة أمريكا وسجنوا الأشخاص الذين كانوا هناك. طبعاً أبدى الإمام الخميني لطفه ولينه وأمر بعد مدة أن يطلق سراح بعضهم مثل النساء ليعودوا

إلى أمريكا، لكن العناصر الأصليين بقوا هنا إلى فترة طويلة. وكانت هذه بدورها حركة عظيمة زلزلت القدرة الأمريكية في العالم فسقطت أمريكا بكل هيمنتها وعظمتها في أنظار العالم فجأة. ووصل الأمر إلى درجة أن رئيس جمهورية أمريكا بادر إلى الهجوم العسكري الخفي الليلي على إيران من أجل إنقاذ هؤلاء الرهائن. وقد عبّأوا جواسيسهم هنا ومهدوا الأسباب والمقدمات ووظفوا أشخاصاً، وعينوا أماكن وهجوا بالمروحيات والطائرات وجاءوا ليهبطوا في طبس ويأتوا من هناك ليأخذوا الرهائن معهم كما تصوروا، حيث وقعت حادثة طبس المعروفة، وأراق الله تعالى ماء وجههم، واحترقت طائراتهم ومروحياتهم واضطروا للعودة من طبس. هذه هي أحداث الثالث عشر من آبان.

الثالث عشر من آبان رمز له في داخله ومن ورائه الكثير من المعاني، وكل هذه المعاني دروس لنا. وعلينا أن نتذكرها: طمع أمريكا وتبعية النظام الطاغوتي لأمريكا وفساد أجهزته، ووقفة الإمام الخميني والجماهير الإيمانية المعتمدة على البصيرة، وتواجد جيل الشباب الثوري وشجاعته وجرأته في مقابل هيمنة أمريكا ووجهها المزيف المخادع، كل هذا كامن في داخل كلمة الثالث عشر من آبان. وبالتالي فالثالث عشر من آبان ليس كلمة صغيرة.

تأملوا الآن قليلاً.. في العام الماضي.. عام 88 .. خرجت جماعة صغيرة تعيسة في الثالث عشر من آبان إلى شوارع طهران ورفعوا الشعارات ضد الثالث عشر من آبان، عسى أن يستطيعوا تلويث هذه المناسبة الكبرى. وقد أخفقوا وهزموا بالطبع، وكان واضحاً أنهم سيهزمون، ولكن لاحظوا ما الذي كان يقف

وراء تحركهم هذا. ما الذي كانوا يواجهونه؟ كانوا يواجهون هذا الرمز الذي تقف وراءه كل هذه المعاني والمفاهيم الكبيرة. الواقع أنهم كانوا يجابهون هذه المفاهيم، وكانوا يريدون إحياء الهيمنة الأمريكية مرة أخرى. أرادوا إسدال الستار على هيمنة أمريكا وتدخلاتها. أرادوا التشكيك في حركة الشعب الإيراني العظيمة مقابل ذلك الظلم الهائل.

حينما يدرك المرء ما هو معنى الثالث عشر من آبان يفهم من هم الذين أرادوا تسقيط الثالث عشر من آبان وتشويهه حسب ظنهم وما هم وما هو هدفهم. هذه هي البصيرة التي نكررها ونؤكد عليها. ينبغي التأمل والتدقيق.

أقول لكم أيها الشباب الأعزاء إنكم اليوم في الخط الأمامي لحركة الشعب الإيراني. يرمق الشعب الإيراني قمماً ويسير نحوها. يعترف الصديق والعدو أن الشعب الإيراني يسير نحو القمم بسرعة. طبعاً لا يزال الطريق طويلاً جداً وينبغي عدم التفكير بسذاجة. الطريق الممتد أمامنا ليس طريق سنة وسنتين، بل هو طريق طويل، بيد أن الشعب يتحرك ويسير، فما لم تكن هناك حركة لن يتاح بلوغ الأهداف. لا يمكن لأحد الوصول إلى أهدافه بالقعود والتمني والتثاؤب. ينبغي السير في الطريق والتقدم فيه بعزم. والشعب الإيراني يفعل ذلك.

لقد حققنا تقدماً ملحوظاً على الصعيد العلمي وعلى الصعيد التقني وعلى المستوى السياسي وفي مجال الخدمات المتنوعة وفي مضمار إعمار البلاد. إن البلد كله حالياً أشبه بورشة عمل كبيرة يجري في كل جوانبها العمل وتقديم

الخدمة والمشاريع العمرانية، والمدراء الإيرانيون يكسبون المهارة والخبرة والتجارب، وأبناء الشعب الإيراني يستفيدون، ونستغني نحن عن الآخرين.

في الماضي إذا أرادوا مدّ جسر في هذه المدينة كان يجب أن يأتوا بخبير أجنبي، وإذا أرادوا بناء سدّ فعليهم تحمل منّة عدة حكومات أجنبية، ناهيك عن الأعمال الأعقد. والشعب الإيراني في الوقت الحاضر مستغن من هذه النواحي، ويمتلك طاقات بشرية غنية وثرة وموهوبة وكثيرة. وله مدراء مخلصون ومندفعون وكفوؤون. وهو يتقدم إلى الأمام. ولكن من هم الذين يقفون في مقدمة هذه الحركة العظيمة؟ إنهم الشباب وطلبة الجامعات وطلاب المدارس. الشباب هم الذين يتقدمون بهذه الحركة إلى الأمام. محرك هذه المسيرة الضخمة وهذا القطار العظيم المتقدم إلى الأمام باستمرار هم الشباب.

بالطبع لا بد من المدراء الكفوئين وأصحاب التجربة. الاعتماد على الشباب لا يعني عدم احترامنا لأصحاب التجارب والأعمار الكبيرة والمخضرمين والشيوخ، لا، هؤلاء أيضاً لا بد من وجودهم، ولكن ما لم يكن الشباب لن تتيسر هذه الحركة. والشباب اليوم متواجدون في الساحة بتوفيق من الله وحول منه وقوة. وهذا شيء على جانب كبير من الأهمية والعظمة. أنتم الشباب الخط الأمامي لهذه الحركة سواء في الميادين السياسية أو الساحات الاقتصادية أو ميادين العلم.

على الصعيد السياسي كان الشباب هم الذين أحبطوا فتنة سنة 88. شبابنا وأنتم طلاب المدارس والطلبة الجامعيون هم الذين كان لهم الدور الأكبر

بدرجة تفوق العوامل الأخرى. وإلا فالفتنة كانت فتنة كبيرة. أقول لكم إنه إذا انقضت بعض السنوات فسوف تتحرك الأقلام المغلولة الآن بيد الواعين الدوليين وسوف تكتب، وقد لا أكون في ذلك الحين، لكنكم ستكونون وستسمعون وتقرأون أية مؤامرة كبرى كانت تقف خلف فتنة عام 88. كانت تلك الفتنة شيئاً على جانب كبير من الأهمية، وكانت أهدافهم أهدافاً عجيبة غريبة جداً، وقد أرادوا في الحقيقة السيطرة على إيران. الذين كانوا من عوامل الفتنة ـ الذين نزلوا إلى الشوارع أو بعض الناطقين باسمهم ـ نزلوا إلى الساحة عن غير وعي في غالب الأحيان، لكن بعض الأيدي كانت توجههم دون أن يشعروا. أما كيف نزل هؤلاء إلى هذه الساحة وكيف ساعدوا العدو دون شعور منهم بذلك فهذا أمر يتطلب تحليلاً نفسياً دقيقاً. بيد أن واقع القضية هو ما ذكرت. كانت هذه القضية عملية كبيرة جداً. وأنتم الشباب من أنجز هذه العملية.

أبقوا في الساحة يا أعزائي. البلد بلدكم. والقمم التي ذكرتها لكم. حينما تبلغون كمال أعماركم إن شاء الله سوف ترون هذه القمم وستصنعون المفاخر لشعبكم. طبعاً ما من حركة يمكن أن تنتهي، فالتحرك مستمر نحو القمم ولا يتوقف أبداً. المهم أن يتعلم الشعب ويتعود ويعقد العزيمة على السير نحو الكمال والسمو. وينبغي أن لا ينتاب الخور هذه العزيمة في أي وقت من الأوقات.

لحسن الحظ فإن الجمهورية الإسلامية والشعب العزيز الواقف سنداً لهذه

الجمهورية يحميها ويحرسها أقوى وأقدر من أي وقت مضى. وطريقنا اليوم أوضح وأسطع من أي وقت آخر، ونعلم ما الذي نفعله وندري إلى أين نحن سائرون. نعرف أصدقاءنا ونعرف أعداءنا.

وأعداء الشعب الإيراني أضعف من أي وقت آخر مروا به، ومكروهون ومبغوضون أكثر من أي وقت آخر، ويعانون المشكلات، ولهم مشاكلهم الاقتصادية والسياسية وشتى صنوف المشكلات. طبعاً هذا لا يعني أننا يجب أن نخلد إلى راحة البال ونتهالك على وسادات وثيرة وننسى، لا، لا يصح أبداً الاستهانة بالعدو، وينبغي أن تتذكروا دوماً أن الأعداء في كمائنهم يترقبون ويرصدون، ولكن اعلموا أن العدو اليوم لا يستطيع استخدام الأساليب القديمة. الشعب الإيراني اليوم يقظ واع وشبابنا يقظون واعون صاحون. القسم الأعظم من شباب البلاد اليوم في خدمة هذه الأهداف، سواء في البيئة الجامعية أو في مناخ السوق أو في أجواء طلاب المدارس أو في بيئة علماء الدين، في كل المناخات يخوض الشباب في العمل.

اللهم اشمل هؤلاء الشباب بلطفك ورحمتك. اللهم اجعل الصلاح سائداً في هذا البلد. اللهم اجعلنا وجميع الشرائح كما أراد الإسلام وكما يرتضيه الإسلام. ربنا أمدد شعب إيران في انتصاراته الكثيرة. ربنا أسند هذا الشعب بأدعية الإمام المهدي المنتظر (أرواحنا فداه) وتقبلها بقبولك الحسن.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته